وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المادة : الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

عنوان المحاضرة :

الشاعر متمم بن نويرة

أ.د محمد سعيد حسين مرعي

ms_husen@tu.edu.iq

م.د منار نبيل خطاب

م.د رفل احمد علي

1445هـ

2024م

متمـــــم بـــــن نويـــرة

حياته:

هو متمم بن نويرة بن عمرو بن شداد، يكنى بأبي نهشل وأبي تميم وأبي إبراهيم وأبي أدهم.

ولعبت قبيلته بنو يربوع دوراً في العصر الجاهلي والإسلامي، ففي الجاهلية شهدت أياماً ووقائع كثيرة مثل يوم الصمد بينهم وبين بني شيبان، ويوم العظالة والغبيط والأياد وغيرها، وكان يتغنى مع الشعراء بتلك الأيام ومشاركاً فيها فارساً شجاعاً.

ارتدّت قبيلته مع سجاح عن الإسلام، ثم عادت إليه، فشاركت في الفتوح الإسلامية في يوم الصمد، أسّر متممُ عبد الله بن عتمة، ثم أحسن إليه وأطلق سراحه، فمدحه عبد الله بقصيدة دالية.

تعود شهرة أخيه مالك إلى كونه شريفاً بدليل إيعاز الرسول له بجمع صدقات قومه، ومقتل مالك كان السبب الرئيسي في شهرته، إذ حصل خلاف في هذه المسألة.

سيطرت على حياته الأحزان والأسى بسبب مقتل أخيه مالك، إذ ترك الزواج وخيّم عليه طابع الحزن حتى اتضح في شعره.

لم تذكر أغلب المصادر مشاركته في الفتوح على الرغم من حسن إسلامه، ولا تعين سنة وفاته (حدود 30هـ)، عاصر خلافة أبي بكر وجزءاً من عمر وجزء من خلافة عثمان.

حياته الخاصة:

لم يتزوج حزناً على أخيه، فقال له عمر: (يا متمم، ما يمنعك من الزواج؟ لعل الله ينشر منك ولداً).

فتزوج امرأة من أهل المدينة، ولم يدم هذا الزواج طويلاً، فلم تحظ عنده، ولم يحظَ عندها فانفصلا بسبب حزنه وهمه على مالك، وحين طلقها قال:

أقولُ لهندٍ حين لم أرضَ فعلها	**أهذا دلالُ الحبِ أم فعلُ فارك**
أم الصرمُ ما تهوى وكلُ مفارقٍ	**عليَّ يسيرٌ بعدما بان مالـــــكُ**

أي أنه استهان بطلاقها بعد أن مات مالك.

ثم تزوج (أم خالد) وقد واسته ونهته عن الحزن على أخيه، مما يظهر على سمته وسلوكه، ويبدو أنها بقيت معه لأنها شاركته الحزن والمواساة، وكان يقول لها:

أقولُ لها لمّا نهتني عن البكا أفي مالكٍ تلحينني أمُ خالدِ

وهو بذلك يبين احترامه لها أكثر من زوجته السابقة، ويرجح أن الثانية هي أم ولديه إبراهيم وداود.

ويروى أنه قال: (أصبت بإحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة، فلما مات أخي استهلت فما ترقأ).

استطاع أن يخلد حزنه على أخيه في قصائده، لأن القارئ لها يحس بألمه وحزنه الشديد على وفاة أخيه، مما قرن اسم متمم مع مالك والعكس فاقترنت حياتهما معاً، وقصة مقتل مالك هي التي قرنتها معاً.

قضية مقتل مالك:

1. هناك من يزعم أن خالد بن الوليد كان يحب امرأة مالك في الجاهلية، لذا قتله ليتزوج امرأته، وهي رواية لا يؤخذ بها لأن خالد قائد من أعظم قادة المسلمين، لا نتوقع منه قتل بريء في سبيل نزعة شخصية وإن تزوج امرأة مالك فعلاً، فأنه أراد بذلك أن يرضي زوجة مالك وقبيلته لمقتل مالك ظلماً.
2. ويروى أن الجيش الإسلامي في حروب الردة، أسّر بعض رجال قبيلة مالك، فقال خالد ادفنوهم لأن اليوم كان بادراً جداً، وكلمة (ادفئوهم) تعني بلغة كنانة (اقتلوهم) فقُتل الأسرى.
3. وكان مالك يجمع الصدقات من بني يربوع، ثم ارتدوا مع سجاح التي طلبت من مالك مساندتها، وقد رفض مالك ومنعها من ذلك، وأمسك عن الأخذ لصدقات المسلمين انتظاراً لخليفة الرسول: (تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي- صلى الله عليه وسلم-) وهو قول يقابل قول البعض أنه لم يرتد، إنما أرجع الصدقات انتظاراً للخليفة.
4. عندما كان أكثم بن صيفي يخطب في قومه ليحثهم على الالتزام بالعهود التي قطعوها على أنفسهم قبل وفاة الرسول، يقال أن مالك قال: (قد خرف سيخكم) مما يعني

ارتداده، وأن أبا بكر أوصى الجيش بأن يمهل القبيلة التي ارتدت حتى وقت الصلاة، فإن رأوهم صلوا فأنهم لم يرتدوا، والعكس، ويقال أن المسلمين وصلوا بني يربوع فجراً، وهنا صار الخلاف فقال البعض أنهم أذنوا والبعض الآخر لا وهو الأغلب، وعند محاكمة مالك شهد له أحد المسلمين وهو أبو قتادة وكلم خالد بشدة دفاعاً عن مالك لأنه كان يؤكد سماعه للآذان، لكن خالد لم يأخذ بشهادته فأهدر دم مالك وقُتل، فأقسم أبو قتادة أن لا يسير تحت راية أميرها خالد أبداً.

هناك رواية أخرى تقول أنه حدثت مشادة كلامية بين مالك وخالد، فقال مالك: قال صاحبكم كذا وكذا، فرد عليه خالد: أو ما تعده لك صاحباً؟ ويعني أبا بكر، وفُسِّر ذلك بارتداد مالك، وهي رواية مرجحة لأنها تحمل لحظة الغضب التي قد يحدث فيها ما لا يستحق وما ينتج عنها من عواقب وخيمة أحياناً، وقد نلحظ ربطاً بين هذه الرواية ورواية عدم جمع الصدقات من قبل مالك.

قضية مقتل مالك لها علاقة وثيقة بشعر متمم، لأنه شعره مفعم برثاء أخيه مالك.

مكانته الشعرية:

رغم جودة شعره لم يصل منه إلا قصائد قليلة أو مقطعات أو أبيات متناثرة في كتب الأدب والتاريخ والتراجم، ويرجح البعض أن هذه المقطعات قد تكون جزءاً من قصائد طويلة.

هناك الكثير ممن أشاد بمراثيه، منهم ابن النديم، فقد ذكر أنه جُمع شعره بواسطة أبي سعيد السكري، بمعنى أن شعره كثير، لكن ما جمعه أبو سعيد لم يصل إلينا ككثير غيره.

كما أشاد بشعره الخالديان في الأشباه والنظائر، إذ قالا: (ومراثي متمم في مالك كثيرة، إلا أننا نورد ما نختار من بعضها)، وقالا: (ومراثي متمم في مالك كثيرة، وإنما اكتفينا منها باليسير)، بمعنى أن لمتمم أشعاراً كثيرة في المراثي وغيرها لم تصل إلينا كاملة.

كما أعجب بمراثيه الكثير، فابن سلام وضع متمم ضمن أصحاب المراثي ويقول: (المقدم عندنا متمم بن نويرة)، وهو تفضيل جاء لصدق شعر متمم وغير ذلك.

كما أن الأصمعي قال عن عينيته في رثاء مالك: أم المراثي. والمبرد صاحب الكامل يقول: ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة (يعني العينية).

وابن الأثير صاحب (أسد الغابة) قال عنه: وأما متمم فلا يُختلف في إسلامه، وكان شاعراً محسناً لم يقل احدٌ مثل شعره في المراثي التي رثى بها أخاه مالكاً.

كما يقول النويري صاحب (نهاية الأرب) في قول منهم:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقاي لتذارف الدموع السوافك

أنه أرثى بيت قالته العرب، وأنه أعظم ما قيل في تعظيم ميّت.

وهذا الإعجاب ناتج عن صدق التجربة الأدبية، لأن العاطفة القوية والحزن والأسى حقيقيان، وهذا ما له دور كبير في بروز أشعاره مع التمكن والموهبة التي يمتلكها، وهو ما لا يمتلكه أي شاعر.

وهناك من أعجب بمراثيه من الخلفاء ومنهم عمر الذي كان يتأثر بمراثي متمم لمالك، لأنه يستذكر بها أخاه زيد الشهيد خاصة أحد أبيات العينية وهو قوله:

وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

يعني نديمي جذيمة الأبرش الملك المشهور، وهما كانا لا يفارقانه أبداً، وكان لا يجلس إلا معهما حتى ضرب بهما المثل بين الناس، حتى أنه لما قتلا كان يسكب الخمر لتذكرهما وهما (مالك وعقيل) فشبه نفسه بهما مع أخيه مالك.

أسباب الإعجاب بشعر متمم :

1. صدق العاطفة والتجربة تجاه أخيه.
2. رقة الألفاظ.
3. تأثر متمم بموت أخيه لاعتقاده أن أخاه قتل ظلماً، يتضح ذلك في تمنيه أن يكون أخاه قد مات كميتة زيد بن الخطاب ، كما قال ذلك لعمر.
4. صدق العاطفة وحدها لا تكفي لقول الأشعار الجيدة، بل الحاجة هنا إلى الملكة الشعرية أو الموهبة التي امتلكها متمم.

وقد استجاب متمم لعمر فرثى زيداً أخا عمر، لكن ما قاله من شعر لم يعجب عمر، ويعود السبب في ذلك أن ما يحرك متمم لرثاء أخيه لا يحركه لرثاء زيد بن الخطاب.

ورثاء متمم في زيد لم يصل إلينا، ولو وصل إلينا لاستطعنا معرفة الأسلوب والألفاظ، وقد عرفناها من قول عمر فقط، وليس هذا فحسب، بل أنه قد رثى الكثير، لكن هذه المرثيات لم تكن بمستوى مرثية مالك، ولو قارنا بين تلك المرثيات ومرثية مالك لتفوقت الثانية لما فيها من صدق العاطفة ورقة الألفاظ حتى سارت سير الأمثال، حتى نقل الكثير من الرواة تلك الأشعار في مؤلفاتهم وأقوالهم حتى الشعراء البارزين كالشريف الرضي وأبي فراس الحمداني والمعري.

متمم بن نويرة من شعراء البادية، شهد أيامها وغزواتها، ويعرف أنسابها، وقد ترجم الكثير من حياة البداوة في أشعاره، لذا فقد كان معيناً للمفسرين والنحاة كي يستدلوا أو يستشهدوا بأشعاره، فكانوا يبحثون في أشعاره عن الكلمات والمعاني وأسماء الأماكن لأنه من الثقاة في اللغة.

والقارئ لشعره، يجد ميزتين بارزتين في شعره، هما:

1. كثرة الأقواء في شعر متمم، ومعناه اختلاف القافية في حركتها، فمرة منصوبة ومرة مرفوعة، وهكذا، ولا يعد ذلك عيباً عليه لأنه من شعراء البادية، وهؤلاء لم يعرفوا عيوب القوافي، ولو عرفوها لتلافوها، فهذا لا يعد عليه عيباً لأن النابغة الذبياني نفسه كان في شعره أقواء، فقال: (زرت المدينة وفي شعري ضعة، وخرجت منها وأنا أشعر الناس)، ومكانة النابغة معروفة شعرياً.
2. أكثر أشعاره ومراثيه جاءت على قافية العين، وهنا نسأل: هل هناك صلة بين قافية الشاعر وحالته النفسية؟ القدامى لم يربطوها معاً، أما المحدثون فقد أوجدوا علاقة بين القافية وحالة الشاعر النفسية، فقالوا قافية العين تدل على الجزع والاختناق والأسى.

ولكن أشعار متمم لم تصل كلها، وربما كانت له أشعار بقافية أخرى، وهذا يبقى احتمال كون قافية العين من قبيل المصادفة لأنها وصلت دون سواها.

الفرق بين رثاء متمم الجاهلي والإسلامي:

هناك فرق بين رثاءه الجاهلي والإسلامي :

كان متمم يرثي في الجاهلية رجالاً من القبيلة ومقاتلين تربطهم رابطة القرابة فقط، في حين أنه في الإسلام كان يرثي أخاً عزيزاً سبّب موته له ألماً كبيراً وحزناً عظيماً، مما جعل رثاءه الإسلامي أعظم لأن عاطفته القوية التي تأججت في الإسلام لفقد أخيه لم تتأجج في الجاهلية.

وأشعار متمم ومالك الذي كان شاعراً هو الآخر جمعتها د. ابتسام الصفار تحت عنوان: (شعر متمم ومالك ابنا نويرة) ومجموع الأشعار التي جمعتها لمتمم (220) بيت، منها (132) بيتاً في رثاء مالك، وأطول قصائده في رثاء مالك العينية، وتتألف من (57) بيتاً.

المعاني التي طرقها:

نفس المعاني التي طرقها سابقوه، كالكرم والشجاعة والنخوة وحماية الجار.

وجدت د. ابتسام لمتمم بيتين أظهرا تأثره بالإسلام بضعف كقوله:

وكلُّ امرئ يوماً وإن عاشَ حقبةً له غايةٌ يجري إليها ومنتهى

بمعنى أن كل حي نهايته الموت، وهي تشبه قوله تعالى: (لكل أجل كتاب) وقوله: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)، فهو يطرق هذا المعنى الإسلامي في الجاهلية.

والبيت الآخر قوله:

ولو شئتُ بالله الذي نزّل الهدى حلفت وبالأُدم المجللةِ الهَدْلِ

ولفظة (الهدى) إسلامية تدل على طريق الرشاد والخير.

ولو قارنا هذين البيتين مع باقي أشعاره، نجد أن مثل تلك المعاني كانت قليلة في شعره، رغم أن هذه المعاني كانت معروفة سابقاً في الجاهلية فالجاهليون آمنوا بالموت سوى أنهم لم يؤمنوا بالحساب بعده.

وبذلك نقول أن متمم كان من الشعراء الذين قل تأثرهم بالإسلام، فنجده مثلاً يصف أخاه مالكاً بالعقل والرزانة مع شرب الخمر، وهو مالا يقبله الإسلام، بل ينهى عنه، فهو إذن لم ينته عمّا نهى عنه الإسلام.

عينية متمم في رثاء أخيه

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ ... ولا جزعٍ مما أصاب فأوجعا

لقد كفّن المنهاك تحت ردائه ... فتىً غير مبطان العشيات أروعا

ولا برما تهدي النساء لِعرسهِ ... إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبٌ أعانَ اللبَّ منه سماحةٌ ... خصيبٌ إذا ما راكبُ الجدبِ أوضعا

تراه كصدر السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

ويوماً إذا ما كضك الخصم أن يكن ... نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا

وإن تلقه في الشَرْبِ لا تلق فاحشاً ... على الكأسِ ذا قاذورةٍ متزبعا

وإن ضرَّس الغزو الرجالَ رأيته ... أخا الحربِ صدقاً في اللقاء سَميدعا

وما كان وقّافاً إذا الخيلُ أحجمت ... ولا طائشاً عند اللقاء مدفعا

ولا بكهّامٍ بزُّه عن عدوهِ ... إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعا

فعينيَّ هلاّ تبكيان لمالكٍ ... إذا أذرت الريحُ الكفيف المرفعا

وهبَّت شمالاً من تجاه أظايفٍ ... إذا صادفت كفَّ المفيض تقفعا

وللشَرْب فابكي مالكاً ولبهمةٍ ... شديدٌ نواحيه على من تشجعا

وضيفٍ إذا أرغى طروقاً بعيرُه ... وعانٍ ثوى في القدِّ حتى تكنعا

وأرملةٍ تمشي بأشعث مُحثِلٍ ... كفرخ الحبارى رأسه قد تصوعا

إذا جرَّد القوم القداح وأوقدت ... لهم نارُ أيسارٍ كفي من تضجعا

وإن شهد الأيسارُ لم يلفَ مالكٌ ... على الفرث يحمي اللحم أن يتوزعا

أبى الصبرَ آيات أراها وإنني ... أرى كلَّ حبلٍ دون حبلك أقطعا

وقد كان مجذاماً إلى الحربِ ركضه ... سريعاً إلى الداعي إذا هو أفزعا

وإني متى ما أدعُ باسمك لا تجبْ ... وكنت جديراً بأن تجيب وتسمعا

وكان جناحيَّ إنْ نهضت أقلني ... ويحوي الجناح الريشَ أنْ يتنزعا

وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

وكنا كندماني جذيمةَ حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلة معا

فتى كان أحيى من فتاةٍ حييةٍ ... وأشجع من ليثٍ إذا ما تمتعا

فوالله ما أسقي البلادَ لحبّها ... ولكنني أسقي الحبيب المودعا

يبدأ القصيدة برغبة في بكاء أخيه طول حياته ويعدد خصاله الحميدة مع خوفه وعدم جزعه رغم شدة مصابه، ثم يبدأ يعدد فضائل أخيه ويستمر في حدود (10) أبيات في تعداد خصاله من الكرم والنجدة والسماحة ورجاحة العقل وحسن الخلقة مستنبطاً هذه الأوصاف من البادية لأنه منها.

يعود مرة أخرى لبكاء أخيه، كانت هذه الصفات مسوغة لاستمرار بكائه فيحث عينيه على البكاء حتى البيت (17) ثم يعود لوصف كرمه فيقول أنه الجواد إذا ما قل الجود ويفك الأسير إذا ما طال أسره، كما أنه يكرم التائه والصبيان والنساء الذين يعانون من شظف العيش.

ويصفه بصفات جاهلية فكان يشترك في الميسر وينفق ماله للمحتاجين، وزوجته لم يطعمنها (النساء) لأنها مستغنية عن عطائهن بعطاء زوجها مالك. وهو عندما يجلس للشراب يكون حسن الخلق يحسن المنادمة فلا تعبث الخمر بعقله وهو من الصور التي منعها الإسلام، وذلك لأن متمم لم يكن من الشعراء المتأثرين بالإسلام، كما أن هذه الصور الجاهلية راسخة في ذهنه، فهو مرة يذكر خصاله الحميدة (تأبين) ثم يبكيه (الندب) والسبب في ذلك حتى لا يتوهم السامع أن المراد من القصيدة المديح، فعندما يبكي أخاه يذكر السامع بغرض الرثاء لا المديح، كما أنها تدل على الحزن.

تحدث فيها عن الأخوة، واستشهد بندامى جذيمة (عقيل ومالك) اللذين ضرب بهما المثل، ويذكر مرة أخرى خصاله الحميدة فيذكر حياءه الذي يفوق حياء الفتاة مع شجاعته، كما أنه دعا لقبره بالسُقيا وهي صورة جاهلية كررها متمم في رثائه.

ثم يعود لحزنه وألمه فيشبه نفسه بالناقة المسنة (الشارف) فيذكر أنه إذا بكت الشارف لفقد ابنها، فأن (بركاً) ألفاً من الجمال تبكي لحالها، فهو أوجب للحزن والبكاء من هذه الشارف واختار الناقة المسنة، لأنها لا تستطيع تعويض ولدها إذا فقدته، مما يدل على دقة في اختيار اللفظ المعبر.

ثم يحاول إظهار صبره وجلده وعتابه لمن مروا بجسد مالك ولم يغطوه، ثم ينتهي إلى أن الموت مصير كل الناس، وإن أخاه عندما توفي بقت سيرته الحسنة وخصاله الحميدة خالدة على الألسن.

القصيدة تتوزع بين ذكر الخصال الحميدة لمالك وحزن وبكاء متمم، بمعنى أنه لم يذكر سبب قتل أخيه أو تفصيلات الحادث، لأن السبب لا يغنيه شيئاً، إنما قتل أخيه هو ما عناه من الأمر كله.